أنبشُ الموسيقى من الأرض الطيّبة

غادة شبَير

هي صاحبة الصوت الذي "يتعملق" في فضاءاتٍ تصدح بالتراث الموسيقي الشرقي وبشتات الماضي الغابر. في عودة "وفيّة" الى المكتبة الشرقية التي تعجّ بآلاف النوتات المهملة، اختارت غادة شبير سبيلها. أمسكت بتلك الكنوز الموسيقية في يديها وراحت تتحسّس أهميتها حتى "اعتنقتها". خامة تحاكي اليوتوبيا التي يصعب على النوتات الأصيلة التفلت منها أو الإبتعاد عنها. بقوّة وعنفوان لامتناهيان تنبش سيّدة الصوت المخملي موسيقى نابعة من الأرض الطيبة ومن الحناجر الرائعة والأنامل السلسة والعقول المبدعة. هو ليس فنًا "طالعًا من القبور" على حدّ قولها بل نابع من أمانة صوتية تغذيها الثقافة. "صوتٌ مثقف" هو أجمل ما يُقال فيها، وصخبٌ أنثويّ هو حقيقة ما يبرهن صوتها. "الفن أكبر بكثير من السياسة ورجالها. الفن يصنع شعوبًا" تقولها وهي الحريصة على "كرهها" للأغنية السياسية. من صميم تلك الحنجرة اللبنانية، من قلب التراث الغنائي الشرقي الذي يحفظ جميلها، غادة شبير في سطور:

الياس قطار
eliaskattar@albaladonline.com

■ كيف بدأت علاقة غادة شبير بالنوتات الموسيقية؟ وعن أيّ نقطة تحوّل يمكن أن نتحدث في حياتك المهنية؟

عندما بدأت أتعامل مع الموسيقى كان عمري 17 عامًا، وكنت أتوجه دومًا الى التراث الموسيقي، الى أنّ تخصّصت في هذا المجال وما زلت وأنجزت دراستي المعمقة. وغصت في البحث الى درجة تطبيق كل دراساتي ميدانيًا. فكنت أحضر نحن كشرقيين كم نقدر هذا الكنز أو كم من الناس يتجه الى البحث في هذا التراث في حين ينحو الجميع الى ما يُعرف بالموسيقى الشبابية. وهناك عتبٌ كبير بالنسبة الى هذا الموضوع، ولكن أشكر الله على وجودي لأعمل في هذا المجال ولأمشي في هذا الطريق علّ أحدهم يستمرّ من بعدي لنجرؤ ونقول إننا كشرقيين ما زلنا نحتفظ بتراثٍ غنائي فعليّ. لدينا تراثٌ عظيم وهذا ما يجب إظهاره.

■ هل هذا يدفعنا الى القول إن الموسيقى التراثية الشرقية الى انقراض؟

العريقة أشعر أنّ صوتي يمكن أن يحملني الى عصور أبعد من اليوم وهي عصورٌ ماضية حيث أرتاح أكثر لقيمة الغناء الذي كان موجودًا وللإهتمام بالصوت. أحيانًا أتمنى لو كنت ذات يوم في قرطبة.

■ جائزتان عالميتان من الـ "بي بي سي" للقب أفضل فنانة في مجموعة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ولألبوم "الموشحات". ماذا أضفت هاتان الجائزتان الى صوت غادة شبير والى شخصيتها الفنية؟

أعتبر أن الجائزة تتويجٌ لعمل ما. وكأن الناس يقولون لك شكرًا الرائعة والأنامل المبدعة التي عزفت والعقول التي ألفت، وليتنا نمتلك 10 % من هؤلاء الناس الذين يبدعون.

■ ما الفارق بين صوتٍ عذب وجميل وصوت مثقف؟ وأيهما تفضلين ان يُقال فيكِ؟

لا يمكن أن نسمع صوتًا قبيحًا ونقول إنه صوتٌ جميل. ولكن في الوقت نفسه لا يمكن أن يكون الصوت مجرّد خامة يتحرّك كالسكين صعودًا ونزولًا لأنّ هذه الخامة نعمة من الخالق. لذا يجب أن نثقفه أي أن نضيف الى جماليته الفطرية دراسة وثقافة. لذا افضل حتى من دون أن أكتبه. فلست معقدة لدرجة كتابة كلّ ما أسمعه. أحيانًا آخذ موقفًا من النوتة فأسأل نفسي: لمَ سأتبع الطريقة الغربية ألبي دومًا كل ما يُطلب منّي ويصبّ في مصلحة وطني. وأتت هذه الأغنية لتشجيع السياحة وفخرٌ لي أن أخدم وطني. لذا أصررت على

كلمة

- الوطن؟ أنت بيتي ومسقط رأسي
- للأصوات المبتدئة؟ عدم الإنجراف نحو المادة
- لله؟ شكرًا
- لطلابك؟ المثابرة
- للحن؟ التقدّم في نبش الماضي والإستفادة منه لعطاء مغاير
- لحنجرتك؟ الدراسة الدائمة
- لغادة شبير؟ إطمحي.

1997

حزت جائزة الأغنية العربية في مصر

المادة الأكاديمية وأطبقها بنفسي وهذا ما أتاح لي تطبيقًا أكثر وعيًا وفهمًا لناحية الألحان والأعمال. أمّا نقطة التحوّل فتكمن في الجائزة العالمية التي حزتها في العام 1966 والتي غيّرت نمط حياتي، بحيث باتت لدي شركتي الخاصّة وبتّ على تعاون وثيق مع منظمين عالميين. إنصرفت بشكل أكبر الى التأليف والتلحين والحفلات والتسجيلات لأبحاثي ولجامعة الروح القدس-الكسليك.

■ **لم تتردّدي في سبر أغوار التراث الموسيقي ونبش المكتبة الموسيقية العربية لاستقاء مواطن الإبداع منها. فبمَ اصطدمت غادة شبير أثناء هذا البحث؟**

حزنت لأنني وجدت كنوزًا عظيمة تنام في التراث العربي ولا أعلم

2001

غنّيت للمرّة الأولى أكابيلا في فينيتسيا وإبيدافروس

أصلًا اليوم هي ليست موسيقى "مشغولًا عليها". فالسوق والإنتاج يلتفان حول الموسيقى الشبابية، من هنا أتت خطوة تأسيسي لشركتي الخاصّة حتى لو كان 10 % من الناس سيتهافتون عليها، فعلّهم يعودون يومًا الى الموسيقى التراثية.

■ **هل خذلتك حنجرتك يومًا؟**

نعم يوم كنت أعاني من الـ "Grippe" وكانت لديّ حفلة في أوروبا. وعندما قررت الصعود الى المسرح إعتذرت من الناس وغنّيت رغم أنني كنت عاجزة عن التحكم بصوتي.

■ **صوتك يوصل الى أماكن بعيدة. فما هو أبعد مكان أوصلك اليه صوتك؟**

عندما أقرأ في كتب الأغاني والأصفهاني وسواها من الأصوات

2002

إصدار ألبومي السرياني الأول "Syriac Chants"

وتابع لأننا نحتاج الى سماع هذا النوع من الأغاني. فتعرف حينها أنّك على الطريق الصحيح. زادتني الجائزة قوة وعنفوانًا وثقة بأن ما أنجزه ليس موسيقى "طالعة من القبور" بل أنبش الموسيقى النابعة من الأرض الطيبة ومن الحناجر

2005

أنجزت دراساتي المعمقة في العلوم الموسيقية

أن أحمل الصفتين.

■ **هل بينك وبين النوتة علاقة حميمة أم هي علاقة تجاذبات دائمة تصنع بصارعها جمالية صوتٍ يجمع التناقضات؟**

كلّ لحن أسمعه أحلله في ذاتي وأضعه في السلم الموسيقي نظريًا

2006

إصدار ألبومي الشرقي الأول "الموشحات"

في كتابتها علمًا أننا كشرقيين سبقناهم الى كتابة النوتات وبطريقة مختلفة تمامًا عمّا هو متبع اليوم من طريقة أوروبية.

■ **حنجرة صاخبة بالقوة الأوبرالية والأنوثة الإنسانية. فما سرّ هذا التناقض؟**

صوتي "ميتزو سوبرانو" وهو الصوت الوسط لدى المرأة. أنا لم أدرس دراسة غربية بل شرقية بحتة كي لا تضيع الهوية. فأحيانًا كثيرة يتمّ تمرين الصوت على الغناء الغربي وبالتالي يفقد الصوت بعض غربه أثناء الغناء الشرقي.

■ **"نجمة لبنانية". أما زلت ترين في لبنان تلك النجمة الساطعة التي لا تطفئها العواصف الأرضية؟**

هي أغنية خاصّة بوزارة الثقافة لتشجيع السياحة في لبنان. وأنا

2007

حزت جائزتي الـ "بي بي سي" من بريطانيا

عدم الظهور في الفيديو كليب كفنانة تريد إظهار نفسها. أردت أن يكون صوتي موجودًا فقط لصالح مشاهد خاصّة من لبنان. فوجود الفنان ينتفي في وجود الوطن.

■ **يُقال الحياة تصنع الإنسان. فأين تبدو آثار الحياة في صوت غادة شبير؟**

كلّ ما يميّز به الإنسان في حياته من صعاب يساهم في صنعه كإنسان. فلو لم أواجه بعض العراقيل والصعوبات لما كنت اليوم هنا. ولو كنت الإنسانة السعيدة جدًا في حياتي لما وصلت الى ما أنا عليه اليوم. فأحداثٌ كثيرة في حياتي أهرب منها من خلال دخولي الى عالم الموسيقى حيث الجنة والفسحة الخاصتين بي.

لمن تقولين؟

شخصيتي التاريخية المفضلة؟
البابا يوحنا بولس الثاني

أنحني لصوتك؟
فيروز ووديع الصافي

موسيقي رائد؟
عاصي الرحباني

فضلك علي؟
أهلي.

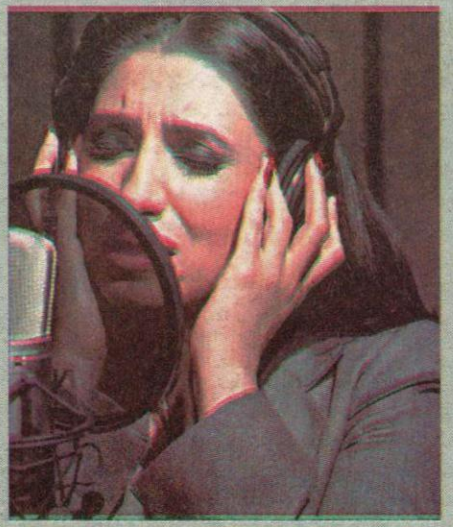

- **عنوان يومياتك؟**
عمل، محبة وعطاء
- **صوت عالمي رائد؟**
ماريا كلاس
- **الأغنية الأحبّ الى قلبك؟**
موّال "لم يكن هجر حبيبي"
- **مؤلف موسيقي عالمي رائد؟**
السيد درويش
- **علاقتك بالزمن؟**
أسير عكسه
- **لونك الغنائي المفضل؟**
الأندلسي
- **آلتك الموسيقية المفضلة؟**
العود
- **التعليم مهنة أم متعة؟**

مهنة إذا كان الطلاب يبتغون أن يدرسوا فقط. ومتعة إذا كنت أتعاطى مع طلاب موهوبين

- **الفن موهبة أم اكتساب؟**
الإثنان معًا
- **أفضل جائزة حزتها؟**
الجوائز الثلاث: جائزة مصر العام 1996، وجائزتا بريطانيا العام 2007
- **حكمتك في الحياة؟**
التأني في اتخاذ القرارات
- **الأغنية السياسية؟**
أكرهها. الفن أكبر بكثير من السياسة ورجالاتها. الفن هو الذي يصنع الشعوب
- **أهي الأذن المثقفة التي تقود حنجرتك أم الحنجرة المثقفة التي تقود أذنك؟**

يسيران معًا بلا انفصال. فما أحبه في نفسي وأشكر ربي عليه أنّ ما أسمعه يمكنني أن أنفذه وأتلذذ في ذلك. وأسعى الى بعض التغيير في نمط الأداء واللفظ والغرب.

لماذا أنا؟

■ **سؤالٌ تطرحينه على نفسك وتجيبين عنه؟**

لماذا أنتِ بالذات تغوصين في التراث العربي؟ ولمَ لا تقوين على رميه وراء ظهرك وتفكرين بشيء آخر؟ الجواب: أنه كلما فكرت في ذلك يأتي تتويجٌ لعمل معين فيدفعني الناس الى العودة ويشعرونني أنهم في حاجة الى ما أقوم به. طبعًا الى جانب أنني أحبّ هذا العالم.

الفن أكبر بكثير من السياسة ورجالاتها

نحن الشرقيين لا نقدر كنوزنا الموسيقية

أتمنى لو كنت يومًا في قرطبة